

وسطية الإسلام فى مجتمع متعدد الثقافات
المجتمع الإندونيسي نموذجاً

إعداد الباحث/ محمد أنيق

Muhammad Aniq

STIQ Islamic Centre Demak

aniq_imam@yahoo.com

Abstract

Multiculturalism is the cultural diversity of communities within a given society and the policies that promote this diversity. As a descriptive term, multiculturalism is the simple fact of cultural diversity and the demographic make-up of a specific place, sometimes at the organizational level. As a prescriptive term, multiculturalism encourages ideologies and policies that promote this diversity or its institutionalization. In this sense, multiculturalism is a society “at ease with the rich tapestry of human life and the desire amongst people to express their own identity in the manner they see fit. This paper discusses multicultural ideologies or policies vary widely, ranging from the advocacy of equal respect to the various cultures in a society, to a policy of promoting the maintenance of cultural diversity, to policies in which people of various ethnic and religious groups are addressed by the authorities as defined by the group they belong to.

Pluralism, diversity and multiculturalism is a daily fact of life in Indonesia. There are over 300 ethnic groups in Indonesia. The Javanese is the largest ethnic group in Indonesia who make up nearly 42% of the total population. The Sundanese, Malay, and Madurese are the next largest groups in the country. There are also more than 700 living languages spoken in Indonesia and although predominantly Muslim the country also has large Christian and Hindu populations. This paper also uncovers the model of Islamic Moderation in Indonesia societies in the light of Various Cultures and Religion.

مقدمة :

تهدف هذه الورقة العملية إلى تقديم معالم الوسطية الإسلامية بخصوص موضوع تعدد الثقافات في مجتمع واحد كمبدأ عام وأساسي لعالية الدعوة الإسلامية، من خلال رسم بعض صور تجلياتها التي تدل وتؤكد على أنها ضرورية للاجتماع البشري وللتعايش السلمي. ونعتمد في ذلك أساسا على بعض النصوص القرآنية والسنة النبوية في عرض وتحليل هذه الفكرة. فالتركيز هنا ينصرف في المقام الأول إلى التعدد الديني والثقافي باعتبار أن غيابهما أو غياب أحدهما يعد سببا من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نمو التطرف الديني والصراع الحضاري في العالم الحالي. وبتعبير آخر تتطلع هذه المقالة إلى إلقاء الضوء على طبيعة التفاعل الحضاري والثقافي الذي ينبغي أن يسود بين الشعوب والمجتمعات والأمم من وجهة نظر الوسطية الإسلامية.

لقد أرسى الإسلام دعائم وقواعد ومبادئ للتعايش السلمي بين الناس جميعا. ودعا المسلمين إلى مخاطبة الناس بالحسنى يقول الله تعالى : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [سورة البقرة:183] ، ولكن لا يكون الدعوة مجرد لقاءات عامة يراد بها خداع المسلمين ومناقشات جوفاء لا طائل من ورائها وبيانات رنانة تعيش في أوهاهما الجماهير. فلا بد من وضع قواعد يلتزم بها الداعية ويعلن إيمانه بها على جماهيره ، ومن هذه القواعد :أولا، الاعتراف بالأصل الواحد للخلقة كلها كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) [سورة النساء:1] ، فلا يتعالى جنس على آخر ولا يفضل شعب على شعب بسبب اللون والجنس والعقيدة أو بسبب قدراته العسكرية والأقتصادية والعلمية والثقافية. ثانيا، الإيمان بأن الله كرم الإنسان يقول تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) [سورة الإسراء:70] ، فلا ينبغي أن يهان إنسان أو يذل مهما كان موطنه ولا بد أن تكف وسائل الإعلام عن الاستهزاء بثقافة أي شعب ، وأن يمتنع الساسة والمفكرون عن التلميح أو التصريح بدونية ثقافة غيرهم أو باستعلاء ثقافتهم على غيرها من ثقافات الأمم. ثالثا، احترام خصوصية كل شعب يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [سورة الحجرات:13] ، فالاتصال الثقافي يجب أن يقوم على أساس تبادل المعلومات والخبرات لا بقصد هيمنة ثقافة على أخرى أو فرض تقاليد شعب على آخر. رابعا، الاعتراف بالآخر ، يقول الله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [سورة الكافرون:2-5] ، فكما يعترف الإسلام بالعقائد الأخرى كدين وإن لم تكن سماوية وتختلف مع الإسلام اختلافا جذريا في العقائد والأحكام فينبغي على الآخرين أن يعترفوا بالإسلام كدين وإن لم يؤمنوا به، لأن الاعتراف بالآخر يشعره بأنه متكافئ في الحوار مع من يحاوره. خامسا، حرية العقيدة يقول الله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [سورة البقرة:256] فلا يجوز لأحد أن يفرض عقيدته على الآخرين بالقوة، بل يترك الأمر للناس يعتقدون ما يرونه صحيحا دون ضغط من أي نوع. سادسا، العدل، فيقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْلَمُوا) [سورة النساء:35] ، ومن مقتضيات العدل حق كل شعب في أن يعيش في وطنه دون اعتداء عليه من أي نوع أو محاولة للسيطرة على مقاليد أموره. سابعا، حرية التعبير لأن التقييد في هذا المجال يزيد الأمور غموضا فلا يعرف ما يمكنه البعض للآخر، وبذلك تنمو الدسائس والفتن. ثمانيا، المساواة ، فلا فضل لأحد على

آخر ، وذلك يقتض الاعتراف بحق كل شعب في الموارد الطبيعية في أرضه، فلا استغلال فلا احتكار وإنما تعاون بين الناس على تنمية الموارد بحيث ينال كل ما يضمن له حياة كريمة تليق بالإنسان الذي كرمه الله.

إن الاختلاف يعد أمراً طبيعياً في نظر الإسلام فهو من سنن الله تعالى في الكون والمخلوقات فالكون كله قائم على التعدد والاختلاف في الأنواع والصور والألوان قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [سورة فاطر:27]

وهكذا فإن هذا الاختلاف هو اختلاف تنوع وتعدد وهو أيضا من آيات الله التي تدل على عظمته وحكمته قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) [سورة الروم:22]

ولقد أقر الإسلام بالاختلاف في الحدود المنطقية والمعقولة ولعل موقف الرسول ﷺ في قضية صلاة العصر في بني قريظة لخبر دليل على الإقرار بمشروعية الاختلاف في السنة النبوية . كما أن هناك وقائع وقضايا متعددة و مختلفة حدثت على مر العصور بل وحتى في عهد الرسول.

الإنسان في التصور الإسلامي قمة الكائنات الحية التي تعيش على وجه الأرض وأفضلها وأكرمها لما أودعه الله فيه من مزايا وميزه من صفات وخصائص. ولا بد أن ندرك أن الثقافات العالمية بدأت تتلاقى نتيجة ثورة وسائل الاتصال والانتقال، فالجهل المتبادل بالآخر على مستوى العالم لم يعد قائما. كما أن الحواجز بين الشعوب والثقافات سقطت وصار الناس في أجزاء مختلفة من العالم يتعرفون على بعضهم فيكتشفون أوجه الاختلاف والاتفاق . كذلك هناك الإحساس المتبادل بين المجتمعات الإنسانية بوجود أخطار مشتركة على العالم كله تتجاوز حدود الثقافات والعقائد الدينية والقوميات مثل العنف في العالم ونفاذ الموارد خصوصا المياه وتدمير البيئة نتيجة الإسراف في التصنيع¹.

كما هو معلوم عند كثير من الناس أن الاختلاف يعد من أبرز خصائص الوجود الإنساني ومن أؤكد ضرورات الاجتماع البشري ، فالاختلاف سنة من السنن الكونية، هذا الكون الرحب الفسيح بهذا الاختلاف يفضي إلى التنوع والتناغم والتناسق، ويُدهبُ الرتابة والفتور. وهذا من شأنه أن يجعل للحياة طعما ومذاقا خاصا، فالاختلاف والتنوع يثريان الحياة، ويكسبان المرء خبرة حيث حل وحيثما ارتحل، فلو أن الناس جميعا خلقوا وجبلوا على صورة واحدة، والأماكن كلها كانت على صورة واحدة من حيث طبيعة المكان والمناخ وغير ذلك، لما احتاج الإنسان أن ينتقل من مكانه الذي ولد فيه، ولسئم العيش من أول سنوات إدراكه لمعنى الحياة لأنه لا يجد جديدا. ويرى البعض أن أهمية الاختلاف لا تتأتى فقط من كون التنوع هو أصل الاجتماع البشري، بل لأنه أيضا مما تدعو إليه الفطرة وتقتضي به الطبيعة. وما الاختلاف في واقع الأمر إلا ظاهرة من ظواهر الوجود أودعت في الكائنات عموما وفي الإنسان خصوصا.

فمن وجهة نظر الإسلام، لولا سنة الاختلاف التي هي سبب من أسباب الخلق، لاستحالت الحياة. وفي غياب الاختلاف لا يمكن أن يكون الإنسان، من المنظور الإسلامي، ذلك المخلوق الذي سواه الرب ونفخ فيه من روحه، ثم منحه العقل، وعلمه البيان، وفضله على كثير من المخلوقات، واستخلفه في الأرض، وسخر له ما في الكون جميعا، ثم هيا له مبادئ الروابط السامية التي تمكنه من الترفع عن كل دنينة، وتدعوه إلى التعاون مع

¹ الاتجاه إلى حوار إسلامي غربي أحمد كمال أبو المجد جريدة الحياة 21 مارس 1997 ص 18.

نظيره في الخلق، في عمارة الكون وتدبير المصالح وتبادل المنافع. لقد امتن الله على عباده من خلال كتابه العزيز أن جعل من آياته تعاقب الليل والنهار حتى لا يشعر الإنسان بالملل، ويتسنى له أن يجعل لكل وقت ما يناسبه من الأعمال: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [سورة القصص:73-71]

انطلاقاً من النصوص القرآنية التي حفلت بالآيات الواردة فيها لفظ (الاختلاف) يمكن أن نستنبط بأن التصور الإسلامي للوجود يرتكز على فكرتين أساسيتين : فكرة وحدانية الخالق وفكرة تعددية الخلق واختلاف المخلوق. وعلى هذين المحورين دار الإسلام في تصوره وعقيدته وفكرته عن هذا الوجود. فبالنسبة للمسلمين فإن الله وحده هو الواحد، وكل ما بعده متعدد: هو واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله، هو الخالق وحده والمحيي والمميت وحده وهو المعبود وحده، لا يستحق العبادة غيره ولا الاستعانة بمن سواه، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [سورة:الفاتحة:5]، (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [سورة:الإخلاص: 1-5] وعلى هذا كان التوحيد في الإسلام بمثابة جوهر هذا الدين وأساسه المتين.

فالتوحيد إذن هو روح الوجود الإسلامي (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) [سورة: آل عمران:64]، وهذه كانت دعوة الأنبياء والمرسلين جميعاً، كل الرسل دعوا قومهم كما جاء في معرض آيات القرآن إلى التوحيد: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [سورة:النحل:36] ، والطاغوت كل ما يعبد ويعظم ويطاع طاعة مطلقة من دون الله سواء كان من البشر أم من غير البشر. فالهدف من بعثة الأنبياء هو تحرير البشرية من عبادة غير الله، من عبادة الأشياء أو عبادة الذات أو عبادة الأشخاص أو عبادة الأفلاك أو عبادة الحيوان أو عبادة الإنسان أو عبادة الهوى والذات.

تحرير البشر من العبودية لغير الله كان رسالة الأنبياء جميعاً التي تركزت وتجسدت في الدين الخاتم الذي بعث به محمد ﷺ ليحرر الناس من عبادة الطواغيت حتى يعيشوا أحراراً متساوين فلا يمكن للناس أن ينعموا بظلال الحرية وبنسيمها إذا كان بعضهم يعبد بعضاً أو يذل بعضهم لبعض. هذا ما يمكن استخلاصه من النصوص الإسلامية فيما يتعلق بالاختلاف. وأما ما يتعلق بالتعددية في الخلق، والتعددية في العرق واللغة والدين والثقافية، كل هذه التعدديات قد أقرها الإسلام. المسلم ليس وحده في هذا الوجود، هناك آخرون يشاركونه في الحياة. إذن فثمة تعدد في الخلق.

التعدد الثقافي في المجتمع

يعتبر التنوع ظاهرة كونية، فهو يشمل مختلف جوانب الحياة: الإنساني والحيواني والطبيعي الجغرافي. (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [سورة فاطر:27]

يتضح من خلال هذه الآية القرآنية أن الإنسان كلما كان واعياً بحقيقة الاختلاف، باحثاً في الكون مكتشفاً لأسراره، كلما اتسعت دائرة علمه ومعارفه. والعلماء هم الأكثر تأهيلاً، لا لخشية الله فحسب، بل وأيضا لمعرفة

واكتشاف حقائق الكون وتنوعه، فهم يعرفون بأبحاثهم ومعاينتهم وتجاربهم واكتشافاتهم وخشيتهم لخالقهم أيضا اختلاف الألوان. والتنوع يعبر عنه القرآن باختلاف الألوان، أي اختلاف الأنواع والأصناف.

ثم من شأن هذا الاختلاف الطبيعي الجغرافي والحيواني والإنساني أن يثري الحياة الإنسانية على كل أصعدة مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. بهذا، ومع إقراره بالتعددية العرقية واللغوية واللسانية واللغوية، يعترف المنظور الإسلامي كذلك بالتعددية الثقافية. ما دام الناس يتعددون في أعراقهم ولغاتهم وألسنتهم ويتعاملون ويتفاعلون بأساليب مختلفة مع كائنات متعددة الألوان فلا بد أن يتعددوا في ثقافتهم، والمراد بالناحية الثقافية ما يتصل بالحياة ومفاهيمها ونظمها وتقاليدها ومعارفها وتقنياتها وعادات الناس فيها. فالناس يختلفون في أمور شتى: في ملابسهم ومأكولهم ومشاربهم ومسكنهم.

لكل جماعة إنسانية طريقة- وربما طرائق- اتخذتها ومنهج اتبعته في تفاعلها مع محيطها وبيئتها، (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا) [سورة المائدة: 48] ، ولذلك قدر الإسلام هذه الاختلافات في ثقافات الناس، ووسع هؤلاء جميعاً. فالناس أحرار في ثقافتهم وتقاليدهم وأعرافهم وعاداتهم.

ويرى البعض أن الحضارة الإسلامية مثلا، شاركت فيها أنواع عديدة من العناصر والأجناس والأديان المختلفة، وساهمت في إثرائها ثقافات متعددة، فكل بثقافته شارك في تشييدها وازدهارها وكل ترك له بصمة في ناحية من النواحي الحياتية فيها.

هذا التعدد في الإسهامات الثقافية من شأنه أن يغني حضارة ما من الحضارات ويعززها وينميها، وعلى النقيض من ذلك، الحضارة التي تقوم على لون واحد أو شكل واحد أو صورة واحدة فهذه تعد حضارة فقيرة.. الحضارة الغنية هي التي تأخذ وتستفيد من الجميع وتقتبس من الكل. هذا ما يعبر عنه بالتنوع أو التعدد الثقافي الثري. * التعددية الدينية:

مع هذه التعددية نجد أن هناك في الإسلام تعددية دينية، هذه التعددية الدينية مرتبطة بالتعددية الثقافية - التعدد الثقافي ينجم عنه تعدد ديني- ما دام الناس يتعددون ثقافيا فلا بد أن يتعددوا دينياً. خلق الله الناس مختلفين، خلق لكل منهم عقلاً يفكر به، ومنحه إرادة يرحج بها، ومنحه ملكات وقوى ومواهب مختلفة على أساسها يختار الناس لأنفسهم ما يريدونه. لو شاء الله أن يجعل الناس كلهم مؤمنين به لفطرهم على التوحيد والإيمان كما فطر الملائكة، ولكن الله خلق من خلقه خلقاً مفلطحين على عبادته (لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [سورة التحريم: 6] ، (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) [سورة الأنبياء: 20] ، هؤلاء هم الملائكة، وخلق من خلقه نوعاً ميزه بالإرادة والاختيار، هو الذي يقرر مصيره بنفسه ولنفسه (مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلْيَهَا) [سورة يونس: 108] ، (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلْيَهَا) [سورة الجاثية: 15] ، (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) [سورة الكهف: 29] ، أعطاه المشيئة والإرادة والاختيار والقدرة ليقرر مصيره ويسلك طريقه، هذا النوع هو الإنسان.

لم يشأ الله أن يجبره على دين واحد ولا على الإيمان به، بل ترك له الحرية في هذه القضية، وأعطاه الأدوات التي يفكر بها وبعث له الرسل وأنزل له الكتب لتعاونه وتساعده على اختيار الطريق الذي يريده أن يسلكه، ولكن ترك له الخيرة. هكذا خلق الله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) [سورة هود: 118-119] ، (لذلك) أي وللاختلاف خلقهم، لأنه خلقهم متغايرين في الفكر والإرادة فلا بد أن يتغايروا في الدين الذي يختارونه، (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا فَأَأْتَتْ نُكْرَهُ النَّاسِ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [سورة يونس: 99] ، لا يكره الناس على دين ما أو على عقيدة معينة. نوح عليه

السلام، على سبيل الذكر لا الحصر، قال لقومه (أَنْزَلْنَاكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) [سورة هود:28] ، أنزلكم بالهداية ؟ لا بل أنتم أحرار في هذا المجال.

التعدد في الديانة

قد يظن بعض الناس أنه ليس هناك دين غير الإسلام، لا، بل هناك أديان أخرى، والواقع يؤكد هذا المعنى، فأهل الكتاب مثلاً لهم دينهم، (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) [سورة النساء:171] ، هذه الأديان الأخرى وسعها الإسلام، وعاشت في ظلاله قروناً والمسلمون آنذاك بفتوحاتهم وتوسعاتهم كانوا في مرحلة قوة وكانوا هم قادة العالم ولهم القوة الأولى في الدنيا، كانوا يستطيعون أن يفرضوا على الناس دينهم فرضاً ويكرهونهم على الإسلام كرهاً، لم يحدث ذلك أبداً ، وإن حدث فالفعل مردود على فاعله، لأن الإسلام لا يقبل إيماناً فيه شبهة إكراه، لا بد للإيمان أن يكون اختياراً محضاً، ولذلك لم يجبر غير المسلمين في وقت من الأوقات على دخول هذا الدين، وهذا ما قرره بعض المستشرقين الغربيين أنفسهم مثل توماس أرنولد² بقوله: "لم يحدث في تاريخ المسلمين أن جماعة أُجبرت على أن تدخل في الإسلام إكراهاً"، تركوا هؤلاء وعاشوا في بلاد المسلمين أهل ذمة لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، لهم كنائسهم ولهم بيعهم ولهم نواقيسهم ولهم أزياءهم...، ما أُجبر أحد على أن يغير زيه ليكون مثل المسلمين، بل بالعكس، ما دام الإسلام قد تركه لدينه وضمن له حرية الاعتقاد فمن حقه أن يعيش بدينه وأن يقيم شعائره وأن يؤدي واجباته وأن يرفع حقوقه، وهذا من ثمرات إقرار التعدد واحترام مبدأ التسامح.

إن التعددية الدينية تحتاج إلى التسامح، وقد يتساءل البعض: كيف يتسامح الإنسان وهو يعتقد أن دينه هو الحق وأن دين غيره هو الباطل؟ وإذا كان يعتقد هذا كيف يتسامح مع غيره ؟ لعل الإجابة تكمن في أن هذا الأمر يعد من روائع ما جاء به الدين الحنيف، أنه برغم اعتزاز معتنقه بإسلامه (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [سورة فصلت:33] ، رغم اعتزازه بالإسلام ومباهاته بالإسلام ومغالاته بالاعتزاز بهذا الدين فإنه قد غرس فيه من العقائد والمفاهيم والأفكار ما يجعله يتعايش بتسامح منقطع النظير مع المخالفين له.

من هذه المفاهيم والأفكار الأساسية أنه بين أن اختلاف الناس واقع بمشيئة وإرادة الله الخالق، الله هو الذي أراد الناس كذلك (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٍ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) [سورة التغابن:2] ، هكذا خلق الله الناس وأن هذا واقع بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، وما دام هذا بمشيئة الله التي لا تنفصل عن حكمته - من أسماء الله وصفاته المذكورة في القرآن: اسم الحكيم - فمن العبث أن يقاوم الإنسان مشيئة الله، لأن مشيئة خالقه وبارئه هي النافذة وهي الغالبة وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. إن الإسلام يكرم الإنسان من حيث هو إنسان، الإنسان من حيث آدميته مكرم في الدين الإسلامي، (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) [سورة الإسراء:70] ، الله أوجد الإنسان وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة وجعله في الأرض خليفة، فبذلك يصير الإنسان هو محور هذا الوجود، كرمه الله بغض النظر عن لون بشرته أو شعره أو عينيته، بل بغض النظر عن دينه أي دين هو معتنقه. جاء في الحديث الصحيح أن أناساً مروا بجنزة إنسان ميت فقام لها النبي ﷺ واقفاً،

² توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، نقله إلى العربية د. حسن إبراهيم حسن وزميلا، 14.

فقالوا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، هل تقوم احتراماً لها؟ فقال النبي ﷺ: أليست نفساً؟³ فما أروع الموقف وما أروع التعليم، النفس البشرية تكرم لأنها نفس بقطع النظر عن دينها. وهكذا، النفس الإنسانية مكرمة معصومة مصونة، (أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) [سورة المائدة:32] هذا هو الأمر الثاني الذي يعالج به الإسلام التعصب ويسعى لمحوه من نفسية الفرد ليغرس فيها التسامح والأفق الواسع . إن الإسلام يأمر بالعدل - من أسماء الله وصفاته المذكورة في القرآن: اسم العدل - مع الناس جميعاً، لا وبل مع كل الكائنات وفي كل حالة وهيئة: مع المحب أو غير المحب، مع القريب أو البعيد، مع الصديق أو العدو، مع المسالم أو المحارب، مع المسلم أو غير المسلم، فالعدل للناس جميعاً بدون استثناء، ولذلك تجد القرآن يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ) [سورة النساء:135] ، هذا عدل مع المحب أو القريب، ويقول في آية أخرى في شأن البغيض أو البعيد (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا)، [سورة المائدة:8] - لا يحملنكم شأنهم أي شدة بغضهم لكم أو شدة بغضكم لهم، لا يحملنكم هذا على ألا تعدلوا- (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ) [سورة المائدة:8] ، لأن العدل مع الجميع وللجميع، وبهذا يغرس الإسلام روح التسامح مع المخالفين، بلا حيف ولا تضيق، يعاملهم بالعدل ويعاملهم بالرحمة ويعاملهم بالقسطاس المستقيم، بما أن الأرض تسع الجميع.

الوسطية الإسلامية تعلى قيمة التسامح :

خلق الله الناس على أديان مختلفة ويجب أن يسع أهل الأديان بعضهم بعضاً. لا يجبر أناس على أن يتركوا دينهم ليعتنقوا ديناً آخر، لم يأت الإسلام بهذا، لأنه (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [سورة البقرة:256] ، ولذلك يحث الإسلام المسلم أن يسع المخالفين، لا أن يقهرهم على أن يتبعوا ديناً واحداً، سواء كان ذلك الدين دينه هو أو دين غيره. كما لا يسمح الإسلام لأحد أن يقهر معتنقيه على ترك دينهم أو أن يمنعهم من طاعة ربهم. هذه التعددية الدينية هي التي قررها الإسلام منذ العهد المكي وفي العهد المدني أيضاً.

نجد أن هناك سورة في القرآن جمعت بين أمرين قد يظنهما بعض الناس متناقضين، الاعتزاز بالدين إلى أقصى حد والتسامح مع المخالف إلى أقصى حد، هذه السورة هي سورة الكافرون. السورة الوحيدة التي خاطب الله فيها غير المسلمين في حياتهم الدنيا بعنوان الكافرين، فمن عادة القرآن أن يخاطب غير المسلم دائماً بـ (يا أيها الناس، يا بني آدم، يا عبادي، يا أهل الكتاب...) لكن ورد في هذه السورة (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) [سورة الكافرون:1-2] . ويعود سبب نزولها لقصة مساومة المشركين للنبي محمد ﷺ. كانوا يساومون النبي ويفاضونه على أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، وهذه المساومات أراد القرآن أن يقطعها بقرار حاسم واضح جلي، ولذلك قال (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [سورة الكافرون:2-5] هذا التكرار والتأكيد يتبعه في نهاية السورة هذا التسامح العجيب (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

ولا يخفى على باحث أن ابتعاث رسول الله كان منعطفا تاريخيا في حياة الناس جميعا وتحولا حضاريا متميزا في نهج حياتهم وتعاملهم. تحول الخطاب فيه من قومية الأديان ومحدودية مقاصدها إلى عالمية

³ أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجنائز باب القيام للجنازة، حديث رقم:2269.

الإسلام وشمولية دعوته وتكامل مقاصده ومن عزلة المجتمعات البشرية وتضادها وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية وتعاون مجتمعاتها. حيث سمع الناس لأول مرة في تاريخهم الإنساني فكرة المجتمع الإنساني الواحد كما سمعوا أيضا لأول مرة فكرة التعايش السلمي بينهم من غير تمايز بينهم على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعراقهم وأديانهم وأوطانهم.⁴ وكان النبي يعمل على نشر الإخاء الإنساني الذي يتجاوز المسلمين إلى غير المسلمين ، لذا نجد الرسول يعقد مع اليهود حلفا أساسه التعاون على الخير وحماية الفضيلة ودفع الأذى وحماية المدينة من كل اعتداء ومنع الظلم وردع المجرمين العابثين بالأمن وأكد النبي ذلك بالمواثيق.

ففي دستور دولة النبوة -الدولة الإسلامية الأولى التي قامت بالمدينة المنورة عقب هجرة الرسل سنة 1 هـ - 622 م نجد مواد هذا الدستور الذي اشتهر في مصادر التاريخ الإسلامي بالصحيفة والكتاب. نجد مواد هذا الدستور تبلغ سبعا وأربعين مادة ، وفي هذه المواد تقنين لدمج الفئات المجتمعية في رعية الدولة واعتبارهم أمة مع المؤمنين- المهاجرين والأنصار- وتقنين المساواة بينهم وبين المؤمنين في الحقوق والواجبات مع تقنين حقهم الكامل في الاعتقاد الديني الذي يختلفون فيه مع الإسلام والمسلمين . ونقرأ في هذه المواد الدستورية أرقى صور التقنين للاعتراف بالآخر ومساواة الأقلية للأغلبية وتقرير التعددية الدينية في رعية الدولة الواحدة⁵.

نص هذا الدستور على أن اليهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وأن بطانة اليهود ومواليهم كأنفسهم. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحصن من أهل هذه الصحيفة دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه وهكذا تجسد التحام الآخر اليهودي في الأمة الواحدة والرعية المتحدة للدولة في ظل المرجعية الإسلامية ومن خلال سعتها التي نص عليها هذا الدستور عندما قال : وإنه ماكان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو استجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله .

وتجسد هذا الالتحام أيضا بالآخر وتحققت هذه المساواة في العلاقات التي أدخلت النصارى -نصارى نجران- وكل المتدينين بالنصرانية في صلب الأمة الواحدة. فنص ميثاق العهد الذي كتبه الرسول لنصارى نجران على مجموعة من المبادئ الدستورية التي وضعت مبادئ وفلسفات علاقة الإسلام بالآخر في الممارسة والتطبيق فجاء في هذا الميثاق : ولنجران وحاشيتها ولأهل ملتها ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية جوار الله وذمة محمد رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وتبعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير... أن أحمي جانبهم وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيوت صلواتهم.

واهتماما من الإسلام في توفير عوامل التلاحم للأمة الواحدة التي جعل الإسلام وحدتها فريضة نص عليها القرآن الكريم (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [سورة الأنبياء:92]، فلقد حققت التطبيقات الإسلامية في الواقع الاجتماعي عددا من الإنجازات التي سلكت الجميع في الأمة الواحدة. فالموالي الذين كانوا أرقاء ثم حررهم الإسلام دمجهم النظام الإسلامي في قبائلهم التي كانوا أرقاء فيها ولحمهم فيها بلحة الولاء. وسلكت التطبيقات

⁴ الإسلام والمسيحية، إيليكس جورافسكي ، ص 18 عالم المعرفة الكويت 1996.

⁵ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي، 17-21 طبعة القاهرة سنة 1956.

الإسلامية باب المصاهرة والزواج بين المسلمين وبين الكتابيات المحصنات لتحقيق أعلى درجات التلاحم بين غير المسلمين وبين المسلمين في بناء الأمة الواحدة.

والإسلام لا يكتفي بمحو أسباب التفرق والنزاع بين الناس بل يدعو إلى التسامح العام لأن التسامح يداوى القلوب المكلومة ويجتذب النفوس النافرة. فالإسلام منهج الناس جميعا ومقاصده لخيرهم وفلاحهم وخطابه لهم على اختلاف أرقامهم وأجناسهم وأديانهم. فهو تحول حضاري شامل ينتقل بالناس من ضيق القوميات والأعراق والأجناس إلى سعة الأسرة البشرية وتعاوم مجتعاتها في إطار منهجية المجتمع الإنساني الواحد وفي إطار منهج التعاون بين الناس جميعا على أساس من قيم ربهم.

ومما لا يخفى أن الإسلام قدم نظرة شاملة ورؤية متكاملة للكون والحياة والإنسان وأن هذه النظرة تبقى أساسية وصالحة للبشر في كل زمان ومكان. وهذه الرؤية تشمل الأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع، ومن هذه المنطلقات قامت الحضارة الإسلامية على مبادئ مهمين والتغيير والاستشراف. ومما يدل على ذلك ما جاء في فواتح كتب الرسول إلى إمبراطور الروم وكسرى. فقد جاء في رسائل الرسول بعد المقدمة (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) [سورة: آل عمران: 64]. وهذه الآية الكريمة جاءت لتقرر مبادئ إسلامية في علاقات المسلمين مع كل الناس. وهي مبدأ الاعتراف بالآخرين، مبدأ الحوار وأهميته، مبدأ احترام المشيئة الذاتية لدى الآخر، مبدأ استشراف المستقبل في ظل علاقات إنسانية سامية.

إن الآية القرآنية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [سورة الحجرات: 13] تشير في وضوح إلى أن البشرية تتألف من مجتمعات قبلية وشعوب أو أقوام. وكلمة الناس هي تعبير عن الجنس العام يشملها جميعا. وتشير الآية أيضا إلى اتجاه تطور البشرية، أسر أو قبائل وشعوب في اتجاه التعارف وهو المعرفة المتبادلة من جميع الأطراف.

إن الإسلام جاء كما يفهم من الآيات القرآنية ليقوم بين البشر جميعا رابطة الإنسانية القائمة على ارتباط البشر جميعا بالله الخالق فهم جميعا عباد الله.

لقد جعل الله اختلاف الناس شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتنازع. فاختلاف الشعوب له غاية أرادها الله عز وجل، وهو التعارف وهذا التعارف له ظواهر منها اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام، التعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض، تكريم الإنسان في هذه الأرض⁶ إن التعارف يقود إلى التعاون البناء المستمر الذي يفيد الإنسانية جمعاء. إن منهج القرآن يعلم المسلمين أن البشرية مدعوة بأمر ربها للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الإسلامية على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم وألوانهم. وأن إتيان الحق ومجانبة الباطل هو أساس التنافس بينهم هو أساس معيار القرب والبعد من تقوى الله ومرضاته.

ومن سماحة الإسلام مرونته في التعامل مع التعددية في المجتمع أن يضمن أمن الفرد غير المسلم ولو كان مشركا. نقرأ مثلا قوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) [سورة التوبة: 6] يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " يقول تعالى لنبيه،

⁶ التوجه الاجتماعي في الإسلام، الشيخ أبو زهرة 21/2 مجمع البحوث 1391 هـ.

صلوات الله وسلامه عليه: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الذين أمرتك بقتالهم، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم، (اسْتَجَارَكَ) أي: استأمنك، فأجبه إلى طلبته (حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) أي: القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئاً من أمر الدين نقيم عليه به حجة الله، (ثُمَّ أْبْلِغُهُ مَأْمَنَهُ) أي: وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده⁷. وأما الشيخ المراغي فيقول في تفسيره: " وإن استأمنك أيها الرسول أحد من الشركين لكي يسمع كلام الله تعالى ويعلم حقيقة ما تدعو إليه أو ليلفأك- وإن لم يذكر سبباً- فأجره وأمنه على نفسه وأمواله لكي يسمع أو يراك. فإن هذه فرصة للتبليغ والاستماع، فإن اهتدى وأمن عن علم واقتناع فذاك وإلا فالواجب أن تبلغه المكان الذي يأمن فيه على نفسه ويكون حراً في عقيدته حيث لا يكون للمسلمين سلطان عليه وتعود حالة الحرب إلى ما كانت عليه من غير عذر⁸.

وهكذا نفهم أن من منح الأمان لا تمتد إليه يد بالإيذاء وأنه يعان على العودة إلى مأمنه مع الوفاء له دون غدر به أو خيانه له.

وفي الحديث النبوي نجد ما يكشف أن سماحة الإسلام مع مخالفيه وأعدائه وسموه في التعامل معهم بلغ حدا يتحدى به البشرية بأسرها أن تجد له نظيراً في غير الإسلام. لقد أظهر هذا الحديث بشاعة الغدر بمن منح له الأمان بأبلغ قول و أوضح بيان. روى البخاري في التاريخ عن النبي ﷺ قال: من أمن رجلاً على دمه فأنا بريء من القتال وإن كان المقتول كافراً⁹، ففي هذا الحديث يتبرأ الرسول من المسلم إذا غدر بكافر أمنه ثم قتله. وبراءة الرسول من مسلم تعني خسرانه الدنيا والآخرة.

ومن أكبر نماذج التسامح والاعتراف بالتعددية في الحضارة الإسلامية ما نقرأ في الوثيقة العمرية في فتح بيت المقدس سنة 15 هـ أي بعد وفاة النبي بخمسة أعوام. وهذه الوثيقة لها مكانة كبرى في الحضارة الإسلامية وأنها دالة على مدى تسامح الفتوحات الإسلامية والفاثحين المسلمين. وهذا نص الوثيقة التي تكاد تجمع عليه المصادر التاريخية:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم والصوت فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا

⁷ تفسير ابن كثير 113/4.

⁸ تفسير المراغي، 60-59/10.

⁹ التاريخ الكبير، البخاري، 322/3.

الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمسة عشر¹⁰.

التعدد الثقافي في المجتمع الإندونيسي :

أغلبية الشعب الإندونيسي من المسلمين، يمثلون العدد الأكبر للمسلمين في أي بلد في العالم إذ يصل عددهم 205 ملايين نسمة من أصل 230 مليون نسمة هم تعداد إندونيسيا، لكنهم يضربون مثلا يحترم، ويحتذى، في احترام الآخر، رافعين شعارا نبيلًا وفريدا هو: الوحدة في التنوع، وهنا مكمن قوة هذا المجتمع. هذا البلد الذي يضم أكبر تجمع سكاني من المسلمين في أرجاء العالم يعيشون في 17 ألف جزيرة تجسد جغرافية المكان. ستة آلاف منها فقط مأهولة بالسكان، ويتكلمون 262 لغة محلية، ويتنوعون في 240 جماعة عرقية، ويشكلون 230 مليونًا يتوزعون شرقًا وغربًا في بلد تقطع الطائرة المسافة بين أقصى شرقه إلى أقصى غربه في ثماني ساعات. التحضر.

يقدم كل قطر من إندونيسيا ثقافات متنوعة إندونيسيا، حيث يكثر بناء البيوت الخشبية في أرجاء إندونيسيا، إضافة إلى المساجد والمعابد البوذية، والكونفوشية، والتي كانت ممنوعة من البناء في عهد سوهارتو، وسمح الرئيس الإندونيسي الحالي سو سيلو بامانج يودويونو بإعادة بناء هذه المعابد، تأكيدًا على حرية العبادة المتاحة لكل أهل إندونيسيا أيا كانت دياناتهم. والكل يعبر عن الثقافة والتقاليد التي تخص السكان وليان البون الشاسع في ثقافات هذا البلد يمكن عقد مقارنة واحدة للتمثيل فقط على مدى التنوع، والاختلاف بين أهل جاكرتا نفسها كسكان عاصمة مدنيين، تبدو عليهم مظاهر العولمة في أزيائهم العصرية، ويركبون السيارات أو الدراجات البخارية، بينما أهل جزيرة بابوا في شمال شرق إندونيسيا يتسمون ببشرة سمراء ويلونون وجوههم وأجسادهم العارية، بألوان ورسوم عديدة، ويعتزمون قلنسوات من ريش الطيور، ويستخدمون الحراب في شكل يذكرون بسكان الجزر القدامى، أو سكان أمريكا الأصليين، وبالبدائية التي كانت نمطًا للحياة لدى العديد من الشعوب قبل آلاف السنوات. ولا يزالون يعيشون هذه الحياة البدائية القائمة على الصيد حتى اليوم. هنا تقدم إندونيسيا نموذجًا فريدًا ترفعه شعارًا قوميا، وممارسة عملية، بين أهل البلد على السواء: «الوحدة في التنوع»، وهو شعار قريب الشبه من العديد من سكان آسيا، الذين يميلون لصيغ التعايش والتعاطي مع الآخر واحترامه أيا كانت ديانتهم أو ثقافتهم الأصلية أو معتقداتهم.

الوحدة في التنوع لا يبدو مجرد شعار بقدر ما يبدو ثقافة حياة، فصحيح أن هناك مئات المساجد في أرجاء العاصمة الإندونيسية، وكثير من السيدات المحجبات، لكنه لا يبدو إسلامًا شكليًا مظهرًا، بقدر ما يبدو كثقافة تستخلص روح العقيدة الإسلامية بلا نزوع للكثير من الشكليات، وفي جوهر هذا التمثيل للعقيدة احترام الآخر، بكل ما تعنيه وتقتضيه الكلمة. وبسبب هذا التنوع الكبير بين الأعراق يبدو أهل إندونيسيا غاية في التسامح، وتكتسب ملامحهم لونا من الهدوء. بمعنى آخر تقدم إندونيسيا نموذجًا للتعايش، لا تسود به ثقافة الزحام مما نرى في بعض العواصم التي يتسبب فيها الزحام ممثلة في الصخب والضجيج والعشوائيات.

بالرغم من دخول الإسلام لإندونيسيا قبل عدة قرون، فإنهم لا يزالون يحافظون على طقوسهم الاحتفالية الخاصة، فشهدنا مثلا مسيرة كرنفالية، حيث يقوم عدد من الشباب الذين يرتدون أقتعة مستمدة من ثقافتهم

¹⁰ تاريخ الطبري، 3/ 105.

القديمة، يعزفون موسيقى صاخبة بينما يحملون ما يشبه عرشا صغيرا من الخشب يتوسطه صبي صغير يرتدي زيا ملونا ويتزين وجهه بألوان ناصعة، ويوضع أعلى رأسه ما يشبه تاجا ملكيا، وفهمنا أن هذا الاحتفال الشعبي يقام، خصوصا في الماضي، للفتيان احتفالا بختانهم. أما أغرب الجماعات العرقية، إضافة لأهل بابوا الذين لا يزالون يعيشون حياة بدائية تشبه حياتهم قبل وصول المستعمر الهولندي إلى جزر إندونيسيا ولا يزالون يتقاتلون، ويعيشون عراة يقاتلون ويصطادون بالحرب، جزء كبير منهم على الأقل. أقول بالإضافة لهؤلاء، لا يفوقهم غرابة في بعض الطقوس وشكل الحياة سوى قبائل من جزيرة سواليبي وينقسمون إلى ثلاث جماعات هي: بوجينيز، ماكاساريس، وتوراجا، وهؤلاء لهم طقوس مختلفة في دفن موتاهم، تتمثل في دفنهم في غرف يحفرونها في أعلى الجبال، لكنهم في الوقت نفسه لا يخرجون بجثة الميت إلا بعد أن يضحوا لروحه أضحية مكلفة قد لا تقل عن مائة رأس من الثيران القوية، وقد يستغرق زمن الحصول على ثروة التي تكفل لأهل الميت شراء هذا العدد من الثيران إلى ما يقارب عاما كاملا، بل قد يمتد الزمن لأكثر كثيرا من ذلك لو كانت الأسرة فقيرة، يحتفظ خلالها بالميت في بيته، حتى لو تحولت جثته إلى رفات.

امتزاج الثقافة والدين

إن دخول الإسلام إلى إندونيسيا واعتناق أغلبية سكان البلاد للدين الإسلامي وانتشار الثقافة الإسلامية، والمساجد، والمراكز الإسلامية، والجامعات الإسلامية، وانتشار الدروس الدينية في المساجد للرجال والسيدات، لم يمنع حفاظ أهل إندونيسيا على ثقافتهم القديمة وعاداتهم، بل والكثير من طقوس الاحتفالات الخاصة بمناسبات اجتماعية وتربوية عدة، بل ويمزجون بعض طقوسهم القديمة في احتفالاتهم الدينية. وحتى في كل المساجد التي دخلناها، سواء مسجد الاستقلال، أو مسجد المركز الإسلامي، أو مسجد القبة الذهبية أو مسجد مجمع هيئة العلماء وغيرها، كان هناك دائما طبل ضخم يستقر في أحد أركان المسجد. وقد كانت هذه الطبول تستخدم للنداء للصلاة قبل اختراع مكبرات الصوت، بسبب اتساع المدينة والزيادة الكبيرة لعدد السكان، حيث لم يكن صوت المؤذن كافيا آنذاك، فما زالت المساجد تحتفظ بتلك الطبول تأكيدا على هذه السمة لأهل اندونيسيا التي تجمع فيها بين ماضيها وحاضرها من جهة، وتعبر بها عن اعتراضها بهما معا قيما وتقاليدها وأخلاقية ودينية، دون أن يؤثر ذلك على العبادات بطبيعة الحال. وتعتبر هذه الطبول (تعرف باسم Bedug) عن البيئة، من جهة أخرى، كون جسمها الخشبي يصنع من إحدى الأشجار العملاقة التي تنتشر في إندونيسيا وهي شجرة قد يصل قطر جذعها إلى متر ونصف أو أكثر. وتعرف باسم شجرة مورانتي نويصل عمر الواحدة منها يتجاوز 300 عام. وهناك العديد من الشواهد التي تمثل فكرة وحدة إندونيسيا وتنوعها، وأغلبها آثار بدأت على يد الرئيس الراحل أحمد سوكارنو، مثل نصب الاستقلال، وغيرها من الشواهد، إضافة إلى تلك الساحة وثقافة التجاور التي تسود بين شعب إندونيسيا.

تشير المصادر إلى أن اسم إندونيسيا قد اشتق من الكلمتين اللاتينيتين إندوس Indus، والإغريقية «نيسوس» Nesos، بمعنى جزر الإندوس. وتشير الدراسات إلى أن الجماعات التي عاشت في هذه المنطقة تعود لما قبل الميلاد بنحو ألفي عام، بعد اكتشاف بقايا هياكل عظمية لإنسان بدائي عرف باسم Java Man، وأن وجود الإنسان المعاصر فيها الذي بدأ مع هجرات من مناطق جنوب شرق آسيا، خصوصا تايوان، وانتشروا في هذه المنطقة وماليزيا وعملوا في زراعة الأرز بسبب خصوبة التربة. أما دخول الإسلام إلى إندونيسيا فيعود للقرن الثالث عشر، عن طريق التجار العرب، الذين عرفوا الطريق لإندونيسيا منذ القرن الثامن الميلادي،

واستقر الكثيرون منهم في إندونيسيا، خصوصا أهل اليمن، والذين عرفوا بالحضارمة، واليوم تجد الكثير من أهل إندونيسيا لهم ملامح عربية، وعادة ما تجد أنهم من الحضارمة، لكنهم انتشروا بين السكان ولم يعودوا يعيشون في تجمعات مستقلة كما كان الأمر في السابق. لكن انتشار الإسلام لم يبدأ قبل القرن الثالث عشر، وانتشر في جزيرتي سومطرة وجاوا أولا ثم انتقل إلى بقية أرجاء إندونيسيا لاحقا، باستثناء بالي التي ظلت محافظة على ديانتها الهندوسية حتى القرن السادس عشر. وانتشر الإسلام في ربوع إندونيسيا في هدوء وسلام، ربما بسبب طبيعة أهل المكان، إضافة إلى أنه لم يفرض بالقوة، وبسبب وصول بعض الفرق المتصوفة من الشام واليمن وسواها ممن كانوا يدعون للإسلام في لين ورفق، ولم يضعوا التراث الثقافي للبلاد حجر عثرة أمام دعوتهم للإسلام، مما سهل من مهمتهم، وحتى اليوم لا يعتبر الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، بالرغم من أن الأغلبية العظمى من سكان إندونيسيا من المسلمين، وهو ما أسسه الرئيس أحمد سوكارنو عندما وضع أول دستور للبلاد عقب استقلالها في العام 1945، وما زال معمولاً به حتى اليوم، ما يجعل من التجربة الإسلامية الإندونيسية تجربة تستحق التأمل.

وبسبب الثروة الهائلة التي تمتلكها إندونيسيا من التوابل والمنتجات الزراعية سرعان ما أصبحت محط أنظار الدول الاستعمارية، بدءا من البرتغاليين الذين وصلوها لأول مرة عام 1512 حين وصلت سفينة تحمل عددا من التجار بغية احتكار محاصيل جوزة الطيب والقرفة وغيرها من التوابل والبهارات التي اشتهرت بها إندونيسيا وأطلق عليها اسم «جزيرة التوابل». وقد أدى ذلك إلى احتلال إندونيسيا على يد البرتغاليين لمدة 31 عاما، ثم تمكنت إحدى الشركات الهولندية الضخمة من اختراق الاحتكار البرتغالي للتوابل في إندونيسيا ومهدت الطريق للاحتلال الهولندي الذي بدأ في القرن الخامس عشر واستمر لمدة 350 عاما.

واستطاع مسلمو إندونيسيا أن يحافظوا على دينهم، ووصولاً لبداية القرن، استجابت إندونيسيا لحركة الإصلاح الديني التي قادها الشيخ محمد عبده في مصر، واعتبر الإسلام السبيل لمناهضة الاحتلال الهولندي، وظهرت تأثيرات الحركة الإصلاحية عبر رموزها في إندونيسيا، حيث منان كابو علما، الذي لعب دورا رياديا بارزا في هذا السبيل، ثم نشر طاهر جلال الدين كتابه «الإيمان في سنغافورة»، عام 1906، وأعقبه ظهور عدد من المدارس الإسلامية الحديثة مثل «المدرسة الأدبية» في غرب سومطرة، والمدرسة الدينية وسواهما. وبالرغم من الطابع المتسامح العام الذي يبدو به المجتمع الإندونيسي، فهناك بعض الخلافات بين بعض الجماعات الدينية، أبرزها الخلاف بين جماعتي سانتري وأبانجان، فالأولى ترى أنه يجب تنقية الطقوس الدينية من كل ما امتزج بها من ثقافات أخرى في إندونيسيا، بينما ترى الثانية أن أهل الجزر قد دخلوا للإسلام بسبب المرونة في تقبل بعض الشكليات في طقوس الاحتفالات الدينية، لكنهم لا يتعرضون لجوهر الدين. أما الخلاف الثاني فهو بين المسلمين المتشددين وبعض أصحاب الديانات الأخرى في المجتمع، بينما الخلاف الثالث بين المسلمين المعتدلين والمسلمين المتشددين المتطرفين، إضافة إلى بعض من حاولوا الترويج لمذاهب جديدة غريبة عن صحيح الدين، مثل جماعة الأحمدية التي منعت في إندونيسيا بفتوى من هيئة العلماء المسلمين، أو بعض المتطرفين الذين قاموا بأعمال تقجيرات وعنف مطلع التسعينيات من القرن الماضي.

الوسطية الإسلامية من خلال جامعة إسلامية

هناك جامعات حكومية متخصصة في الدراسات الإسلامية. إن إنشاء الجامعات الإسلامية الحكومية بشكل عام جاء تجسيدا لفكرة أغلبية المسلمين من سكان إندونيسيا، وتحقيقا لبذل جهودهم الطويلة والمتواصلة منذ أن كانت هذه الجامعة تعرف أكاديمية العلوم الدينية (ADIA) عام 1957-1960 م، وهي كانت بمنزلة كلية تابعة للجامعة

الإسلامية الحكومية التي كان مقرها في جاكرتا (1960-1963 م)، ثم بدأ اعتبارها جامعة إسلامية حكومية شريف هداية الله بجاكرتا (IAIN) بدءاً من عام 1963 م حتى أصبحت الآن جامعة واسمها الرسمي هو «شريف هداية الله الإسلامية الحكومية بجاكرتا» (UIN) وذلك بناء على قرار رئيسة الجمهورية الإندونيسية الصادر تحت رقم 31 عام 2002 بتاريخ 20 مايو 2002 م. وتقوم الجامعة بإدارة كليات دينية وعلمية للمرحلة الجامعية الأولى، مثل كلية التربية والتعليم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية أصول الدين والفلسفة، كلية الشريعة والقانون، كلية الدعوة والاتصال، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بالإضافة إلى برنامج الدراسات العليا لمرحلتى الماجستير والدكتوراه. ويعمل المتخرجون من الكليات الإسلامية في وزارة شؤون الدين والأوقاف، وبعضهم يعملون كمدرسين للتربية الإسلامية في المدارس، والبعض يعملون كدعاة، وقد يعمل البعض في مجالات مختلفة أخرى.

تقوم فلسفة الجامعة على أساس التشديد في ربط النهضة العلمية بالدين، بحيث يتخرج الطلاب وهم على دراية علمية ودينية، إن الجامعة مهتمة في نشر مفهوم التسامح وفلسفة احترام الآخر كمفهوم أساسي في الدين الإسلامي، وكذلك كمفهوم عام لمجتمع متعدد الأعراق والديانات مثل إندونيسيا. لذلك يدرس جميع الطلبة جميع المذاهب الإسلامية ويعتبرون على الاختلافات بينها، بالإضافة إلى ضرورة تعلم اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم. ويؤكد من جهة أخرى أن الجامعة وفلسفتها لا تخرج عن الفلسفة العامة للمجتمع الذي يؤكد على أن قوته في التنوع، لذلك لا ترى الجامعة أن تضع حداً بين عقيدة الناس وتقاليدهم الاجتماعية، لأن الإسلام دخل إلى البلاد وامتزج مع عاداتهم بوصفه دين سلام، ولهذا قبل أهل إندونيسيا الإسلام.

ونلاحظ هذا التلاحق الثقافي بين الإسلام وثقافة السكان الأصلية حتى في طرز عمارة المساجد في أرجاء جاكرتا إندونيسيا. وهذا التلاحق قد أدى إلى المزيد من التنوع والخصوبة الثقافية في أرجاء البلاد. فيما يتعلق بالجزء التربوي والاجتماعي يوضح لنا الدكتور أن الجامعة تلعب دوراً أساسياً في هذا الصدد، سواء بنشر كتب تتعلق باستعادة القيم الأخلاقية التي ضيعها العديد من الشباب في سبيل حصولهم على فرص، أو بسبب الفقر. قد انتبهت العديد من المؤسسات الخدمية والإسلامية لهذا الموضوع فبدأت في التخطيط لبرامج توعية واجتماعية، بحيث يكون لهم دور في تنمية المجتمع وتخليصه من الفقر، وتشجيعهم على العمل التطوعي لخدمة الفقراء لتحسين مستوى أفراد المجتمع بشكل عام.

الوسطية الإسلامية من خلال المركز الإسلامي

اختير المركز الإسلامي في جاكرتا في منطقة كانت عبارة عن منطقة خربة تنتشر فيها أنشطة غير مشروعة، ودعارة، فقرر القائمون على المشروع تحويل المنطقة إلى مركز إسلامي لدرء السلوكيات السلبية، وخدمة أهل المنطقة في زيادة وعيهم، وتحفيظهم القرآن الكريم، وتقديم الخدمات لهم، بحيث يتحولون إلى حياة أفضل لهم وللمجتمع. وقد أنشئ المركز في العام 2004، عقب انتهاء تشييد المسجد المتاحم، في عام 2001. بدأت الأنشطة بتحفيظ القرآن للأطفال والشباب، ثم تطورت الخدمات بعمل فصول لتعليم الفتيات مهن يعملن بها ويكسبن قوتهن منها مثل التطريز، والحياكة، وأعمال التجميل، وقص الشعر للسيدات، وغير ذلك من مهن شبيهة. يوضح د. عبد الرشيد أن المحاضرين في الدروس الدينية التي يوفرها المركز لأهل المنطقة أغلبهم منتدبون من مجلس العلماء ومن الجامعات الحكومية الإسلامية. ويرى أن وجود المركز قد أحدث فرقا كبيرا، حيث انتهت مظاهر الفساد في المنطقة، والآن يتردد على المركز يوميا ألف شخص يصلون يوم الجمعة إلى

6000 شخص، ويتضاعف العدد في الأعياد وفي الاحتفالات الدينية التي يحرص المركز على تفعيلها للترفيه عن أهل المنطقة، حيث تقام أمسيات غنائية وفولكلورية. ويقدم المركز برامج دراسية في إدارة المساجد، وتدريب المدربين، إدارة التخطيط، الإقتصاد الإسلامي، اللغة الإنجليزية، المالية والبنك الإسلامي، برمجة الكمبيوتر، وغير ذلك من البرامج التي يستفيد منها عدد كبير من المترددين عليه. والمركز في الحقيقة مشروع خدمي ضخم يضم العديد من الأنشطة الأخرى الخاصة بالثقافة الفنية والتنمية الاجتماعية والدينية في إندونيسيا. ويتسع المسجد الكبير ذو التصميم المعماري الحديث لنحو 20 ألف مصل، وبه مساحة ضخمة بها نموذج مجسد للكعبة المشرفة، حيث يقوم القائمون على المركز بتدريب الراغبين في أداء مناسك الحج أو العمرة تدريباً عملياً على المناسك حتى لا يفاجأون بأي شيء عند وصولهم إلى مكة. كما يضم المركز مكتبة ضخمة تضم آلاف الكتب في فروع المعرفة العامة، إضافة إلى الجزء الأكبر منها الذي يتعلق بالتعاليم الإسلامية الدينية والتي يتردد عليها الشباب والأطفال. وما يلفت الانتباه في المساجد هنا هو ذلك الاهتمام الكبير بالتصميم الداخلي لها واستخدام الزخارف الدقيقة في الجدران والأسقف، وخصوصاً في القباب. أما العمارة الخارجية فهي مصممة بحيث تبدو مزيجاً من العمارة الإسلامية والعربية وبين الثقافة المحلية، وهو ما لاحظناه في مسجد الاستقلال الذي يعد أكبر مساجد إندونيسيا ويقع في قلب العاصمة ويضم العديد أكثر من طابق، بحيث يتسع في حالة امتلائه كاملاً إلى 200 ألف شخص، وهو ما يحدث في الأعياد، بينما يتسع صحنه الداخلي فقط لخمسين ألف مصل، يملأونه في أيام الجمع.

الوسطية الإسلامية من خلال مجلس العلماء

هناك مجلس للعلماء الإندونيسي يلعب دوراً مهماً في تسيير شئون المسلمين. حيث يجتمعون في اجتماع لجنة الفتوى التي كانت عقدت جلسة طارئة لبحث موضوع مستجد أثير في الصحف الإندونيسية فحواه هو أن القبلة في إندونيسيا قد تغير اتجاهها وفقاً لبعض من قالوا إن لأرض قد تعرضت لبعض التغيرات بسبب الزلازل. ولفت انتباهي أن عدداً غير قليل من الحضور كان من السيدات، تبينت لاحقاً أنهن كلهن عضوات في لجنة الفتوى، وفي مجلس العلماء، وهو ما سوف يثير تساؤلاً عن دور المرأة في إندونيسيا، والذي بدأ لنا دوراً رئيسياً، فهي لها وضعها، وكثيراً ما تتكفل الفتاة بنفقات بعض إخوتها لو كان العدد كبيراً، وهناك جماعات من العريقات الإندونيسية لاتزال الأم هي التي تلعب فيها الدور المركزي وليس الرجل.

إن المجلس يجسد مظلة كبيرة للمراكز والهيئات الإسلامية الرئيسية في إندونيسيا والتي يبلغ عددها 36 هيئة. وتتعلق رسالته الأساسية بتدقيق المعاملات والتأكد من توجيه المسلمين وفقاً لرسالة النبي محمد ﷺ والنهي عن المنكر. إضافة إلى الدور المرجعي في الضبط والإشراف على المؤسسات الإسلامية المختلفة، والقيام بدور الفتوى فيما يختلف عليه خصوصاً في بيان حرمة بعض المواد الغذائية أو مستحضرات التجميل أو الأدوية وفقاً لمكوناتها وبناء على فحوص خاصة تصدر بناء عليها الفتوى، إضافة أيضاً لمعاملات البنوك والشئون المالية في الدولة.

ويلعب المجلس دوراً في تقييم بعض الجماعات الدينية التي تتبع البدع وتحيد عن صحيح الإسلام وأشهر تلك الفرق فرقة الأحمديّة التي كانت تدعي أن لها نبياً، ولها كتاب خاص ويقوم أتباعها ببعض الطقوس الخاصة مما جعل المجلس يصدر بياناً برفض هذه الجماعة وتحريم تبعيتها. يقول الحاج صبرا إن السبب في انتشار مثل هذه الجماعات يعود إلى أن مؤسسيها يستهدفون غير المتعلمين من الشعب أو أولئك الذين لا يعرفون جيداً عن الدين الإسلامي لعدم معرفتهم للقراءة وللغة العربية. ويقدم مجلس العلماء برامج توعية دينية تقدم تفسير

القرآن الكريم والحديث وتعلم قراءة القرآن واللغة العربية واللغة الإنجليزية، من خلال برامج ودروس دينية في المساجد، أو في التلفزيون، وتشجيع إنشاء المدارس الإسلامية التي تتضمن الدراسات الإسلامية في مناهجها والتي بلغ عددها حتى الآن 14000 مدرسة. ويتحمل المجلس أيضا تنظيم شؤون بناء المساجد التي يبلغ عددها 700 ألف مسجد في أرجاء إندونيسيا وتنظيم شؤون الحج، حيث تعتبر بعثة الحج الإندونيسية الأكبر في العالم حيث يؤدي مناسك الحج من خلالها سنويا 210 آلاف حاج. ويتخذ المجلس صيغة مؤسسة دولية لها علاقات مع المجالس الشبيهة في ماليزيا وسنغافورة وباقي دول آسيا، وتعتمد في الفتاوي على اجتهادات أعضاء المجلس، بعد بحث أي مسألة مع ممثلين من الهيئات الإسلامية الست وتلائين الموجودة، مما يعني أن القرار في الفتاوي قرار جماعي وليس فرديا. إن المجتمع الإندونيسي هو نموذج يقدم صورة إيجابية للمسلمين، في التسامح وقبول الآخر، والإنتاج والعمل، والتنمية، ونحن نحتاج إلى أن نتعلم منهم، ومن كل تجربة إيجابية وخيرة وإنسانية، ولا تستثنى التجربة الإندونيسية من ذلك، فمثل هذه المجتمعات النبيلة لا يبقى في الذاكرة منها سوى صورة للخضرة الجميلة والنظام والهدوء والابتسامات الخجول التي تفيض بها الوجوه.

الخاتمة:

وقفنا في هذه الورقة على بعض تجليات التعددية في ظل الوسطية الإسلامية كما تبرز من خلال النصوص القرآنية والحديثية، ولا نحسب أننا قد أتينا عليها جميعا، لكننا ركزنا على أهمها من وجهة نظرنا، فالموضوع جد طويل ويحتاج إلى كتابات عديدة وعميقة ومتأنية تقرب من تحديد معالم قضية التعدد وذلك بتوفر عنصر أساسي، ألا وهو ضرورة قراءة كل النصوص القرآنية والحديثية التي لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بمسألة الاختلاف ومظاهره.

يمكن القول بأن الإسلام يقر التعددية بكل صورها وألوانها ويبين للمسلمين وغير المسلمين أن الحياة تنتسج للموافق والمخالف. ونستطيع أن نخلص بأن الاختلاف حقيقة كونية وفريضة شرعية أقرها الإسلام. فإذا وصلنا إلى هذه النتيجة أيقنا أن الذين يتحدثون عن زوال هذا الاختلاف أو نفي وجوده أصلا وعن اجتماع الناس على رأي واحد غير منصوص عليه بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وهو الذي يمثل ثوابت الإسلام وأركانه، كلامهم يحتاج إلى نظر حيث يصعب إثباته أو تطبيقه، وهو ما لم يحدث حتى في عهد أصحاب النبي الذين اختلفوا والرسول بينهم يئنزل عليه الوحي. فالإنسان لا يمل من هذا الاختلاف سواء كان في أمور شرعية أو أمور حياتية صرفة، ما دام ذلك بعيدا عن التنازع المؤدي إلى التفرقة والشقاق والبغضاء والشحناء. بل من المهم أن يكون هذا الاختلاف منهج حياة يطبقه الزوج والزوجة في بيتهما مع أولادهما وتطبيقه المؤسسات على اختلافها وتنوعها بداية من الأسرة، النواة الأولى لبناء المجتمع، وصولا إلى مؤسسة الدولة أو مجموعة الدول أو العالم بأسره، وذلك لترسيخ قيم الحوار والتسامح اللذان يعتبران من أرقى الروابط السامية للاجتماع البشري والعلاقات الإنسانية.

المراجع :

- القرآن الكريم
- صحيح مسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة القاهرة.
- تفسير ابن كثير طبعة دار الفكر، بيروت 1401 هـ.
- تفسير المراغي، طبعة دار الفكر، دمشق.
- التاريخ الكبير، البخاري، دار الفكر، تحقيق السيد هاشم الندوي
- تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي، طبعة القاهرة سنة 1956.
- توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، نقله إلى العربية د. حسن إبراهيم حسن وزميله، طبعة القاهرة.
- الإسلام والمسيحية، إيليكس جورافسكي ، ص 18 عالم المعرفة الكويت 1996،.
- التوجه الاجتماعي في الإسلام، الشيخ أبو زهرة 21/2 مجمع البحوث الإسلامية القاهرة 1391 هـ.
- الاتجاه إلى حوار إسلامي غربي، د.أحمد كمال أبو المجد جريدة الحياة اللندنية 21 مارس 1997 ص